الإسبانية بانيسا تودوري أثناء فترة راحة في حرم جامعة برشلونة، التي كانت تدرس فيها فيما سبق.

مطلوب مساعدة

البطالة بين الشباب تؤثر على الأسرة والمجتمع والبلد بأسره

هيون–سونغ كانغ

كانت بانيسا تودوري طالبة تبلغ من العمر ٢٠ عاما حين وقعت الأزمة المالية العالمية، وأخبرتها والدتها، التي كانت تساعدها في دفع الرسوم الدراسية، بأنها ستضطر إلى البحث عن مصدر آخر للدعم المالي. وتركت تودوري دراستها بالجامعة وانضمت إلى الصفوف المتزايدة للشبان الإسبان الذين يبحثون عن عمل.

وتقول بانيسا، «كانت لدينا أحلام نريد أن نحققها، وكنا نريد أن نأكل العالم أكلا، وظننا أننا سنملك كل شيء، ثم كالت لنا الأزمة لكمة في الوجه».

وطبقا للمفوضية الأوروبية فإن بطالة الشباب في إسبانيا بلغت الذروة في منتصف عام ٢٠١٣ وأنها تجاوزت ٥٦٪. ورغم أن اقتصاد البلد قد شهد مؤخرا انتعاشة طفيفة، فلا يزال لبطالة الشباب ذيل طويل، وستظل آثاره محسوسة لعقود — لا يشعر بها الأفراد فحسب، وإنما أيضاً المجتمعات التي يعيشون فيها.

وقد يكون النطاق استثنائيا في إسبانيا، ولكن ظاهرة بطالة الشباب المرتفعة موجودة في كل منطقة، من الصفوف المتكدسة للشباب العاطلين عن العمل في منطقة الشرق الأوسط الغنية بالموارد، مرورا بالشباب الأقل تنقلا ومهارة في المناطق الريفية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، إلى الشباب المؤهلين بدرجة أعلى من متطلبات الوظائف والعاطلين عن العمل جزئيا في وظائف خدمية منخفضة القيمة في أوروبا التي ضربتها الأزمة.

ووفقا لمنظمة العمل الدولية، كان هناك في عام ٢٠١٤ أكثر من ٧٣ مليون شخص تتروح أعمارهم بين ١٥ و ٢٤ يبحثون عن عمل — ١٤٪ من الفئة

العمرية على مستوى العالم، مقابل ١٢,٤٪ في عام ٢٠٠٧. ولا يتضمن هذا الرقم الذي يزيد على ٧٠ مليون شخص فئات مثل العمالة المحبطة، التي توقفت عن البحث عن عمل — وتشير بعض التقديرات إلى أن العدد الحقيقي أعلى بثلاثة أضعاف.

أسباب القلق

يمكن أن تكون البطالة مدمرة لإحساس أي شخص بهويته ولمعنوياته، إلا أن أثرها على الشبان يكون أكثر وضوحا وأكثر ضررا وأطول أمدا.

ويقول جون وادزوورث من كلية لندن للاقتصاد إنه «بالنسبة للشباب الذي يبدأون مشوارهم في سوق العمل للمرة الأولى، فإن الوضع المثالي هو إتمام التعليم والالتحاق بعمل مباشرة. والمشكلة في بطالة الشباب أن الشباب غالبا ما يكونون على هامش التعيين في الوظائف والفصل منها». فعندما تقرر شركة ما توسيع قوة العمل لديها، فإنها غالبا تعين شبابا، ولكن عندما تقلص قوتها العاملة، غالبا ما يكون الشباب أول من تنهى خدماتهم.

فإلى جانب أن الشباب الذين يدخلون سوق العمل أثناء فترة هبوط النشاط الاقتصادي يكونون في النهاية القصوى من ذلك الهبوط، فإنه يمكن أن يتضرروا من آثار يمكن أن تدوم لعقود. وتشير البحوث المعنية بالشباب الذين قضوا فترة طويلة عاطلين عن العمل أثناء الركود الذي حدث في الثمانينات إلى أنه يرجح بدرجة أكبر أن يظل هؤلاء الأشخاص، حتى الآن، وهم في الأربعينات والخمسينات من العمر، عاطلين عن العمل — وبالنسبة لمن لديهم عمل — غالبا ما تكون أجورهم أقل من نظرائهم الذين لم يتضرروا من البطالة لفترة ممتدة.

ويقول ريتشارد إكسيل من كونغريس النقابات العمالية في لندن «إن ذلك يعني أنه عندما يتقاعد هؤلاء، ستكون معاشاتهم التقاعدية أقل. وذلك أثر يطالهم طوال العمر».

ويمكن أن تتضرر فرص الشباب المستقبلية أيضا لفترة طويلة عندما يتعين عليهم قبول وظائف دون مؤهلاتهم. وقد بدأ هنري ريبيرا أنغولو، البالغ من العمر ٢٠ عاما – والمولود في إكوادور ولكن قضى معظم حياته التكوينية في إسبانيا — رحلة البحث عن عمل منذ سنتين وهو حاصل على تعليم ثانوي. وقد زار وكالة برشلونة أكتيبا، وهي هيئة محلية تدعمها الحكومة تتمثل مهمتها في جذب المشاريع والوظائف إلى المدينة، على أمل أن تساعده في البحث عن وظيفة. ولكنه يقول في النهاية، «رأيت أنني لست الوحيد الذي يعمل نادلا، فقد كان هناك كثيرون بمؤهلات أعلى ويعملون ندلا».

أول المتضررين وأكثرهم تضررا

تتباين أسباب بطالة الشباب، ولكن هناك أسبابا تشترك فيها جميع المناطق. وأحد الأسباب الرئيسية هو النمو. فعندما يتقلص الاقتصاد، يكون الشباب أول المتضررين وأكثرهم تضررا ، إذ يكون الشباب في الغالب أول من تنهى خدماتهم. وما أن يصبح الشاب عاطلا عن العمل، فمن الممكن أن يفتقر إلى القدر الكافي من الخبرة والمهارات وشبكات العلاقات المهنية اللازمة لإيجاد عمل بديل.

وعلى مستوى البلد الواحد، تكون بطالة الشباب في الغالب ضعف مستوى البطالة العامة. ويقول وادزوورث إن الرقمين غالبا ما يتحركان بالتوازي — و ما يحددهما بصورة حاسمة هو النمو الاقتصادي.

ويقول في معرض حديثه عن حالة العمل في المملكة المتحدة: «لا سبيل لإحراز تقدم في بطالة الشباب، أو البطالة عموما، دون نمو. وتشير جميع الأدلة إلى أنه يتعين تحقيق معدلات نمو تزيد على ٢٪ قبل اتخاذ أي تدابير لمعالجة البطالة».

ويقول باو سيراكانت من جامعة أوتونوما دي برشلونة في إسبانيا «إن إسبانيا لا توجد لديها مشكلة بطالة الشباب، وإنما مشكلة بطالة

عندما يتقلص الاقتصاد، يكون الشباب أول المتضررين وأكثرهم تضررا.

عموما». ويعرب عن اعتقاده بأن معالجة النمو هي الخطوة الأولى الضرورية لحل مشكلة البطالة.

وقد يكون انخفاض النمو، أو حتى انكماش الاقتصاد، هو أهم سبب على الإطلاق لارتفاع بطالة الشباب، إلا أن النمو وحده لا يفسر المشكلة كلها. ففي المملكة المتحدة، على سبيل المثال، تزايدت أعداد الشباب العاطلين عن العمل حتى قبل وقوع الأزمة المالية. وفي حين تتراجع تلك الأرقام الآن، فإن فترة البقاء بلا عمل تزيد. وفي معظم بلدان منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، ظل أكثر من

هنري ريبيرا أنغولو وصديقته إليزابت دي ميغيل رودريغيز، من بين ملايين الشباب الذين يبحثون عن عمل في إسبانيا.

ثلث الباحثين عن عمل من الشباب في حالة بطالة لفترة لا تقل عن ستة أشهر.

وآن ماري تايلور، من لندن، هي واحدة من العاطلين عن العمل لفترة طويلة. وهي تبلغ من العمر الآن ٢٣ عاما، وقد بدأت رحلة البحث عن عمل على فترات متقطعة دون نجاح منذ أن تركت المدرسة في عمر ١٦، وتعيش على إعانات البطالة التي تبلغ نحو ٨٥ دولارا أمريكيا في الأسبوع وتعمل جاهدة على تجنب وصمة أنها تعيش على الإعانة. وتقول «إن الأمر فعلا يبعث على الاكتئاب، والذي يحدث أن معنوياتك ودوافعك تهبط إلى الحضيض، وخاصة إذا كنت مسجلا في برنامج Jobseeker's Allowance وتحصل على بدل بحث عن عمل، وستتكون عنك هذه الصورة النمطية ... وعليك أن تجد القوة كل يوم للنهوض من الفراش».

ويواجه الشبان الذي لديهم قدرات محدودة الاحتمالات الأكثر تشاؤما فيما يتعلق بالعمل، ودون أن تكون لدى تايلور مهارات ومؤهلات متراكمة إضافية، تتنافس تايلور الآن مع طلاب عمل أصغر سنا يبحثون عن نفس الوظائف. وتقول «لو كنت قد تركت الدراسة توا، لأعدت النظر في كل شيء بجدية ... لأنه عليك أن تكون عازما على تحقيق ما تريده».

تباين المهارات

إذا كان انخفاض النمو هو السبب الرئيسي لبطالة الشباب، فإن كثيرا من الاقتصاديين يعتقدون أن من العوامل المهمة أيضا وجود تباين بين المهارات التي يحتاج إليها أرباب العمل والشركات والمهارات التي يتعلمها الشباب في النظام التعليمي. ويشكو كثير من أرباب العمل من أنهم لا يستطيعون العثور على الأشخاص المؤهلين الذين يحتاجون إليهم لملء الشواغر.

ويقول أنتوني كارنفيل، الرئيس الأسبق للجنة الوطنية المعنية بسياسة توظيف العمالة في فترة رئاسة الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، «إن أرباب العمل على حق بالأساس، فهم لا يحصلون على المهارات التي يريدونها، لا كما ولا كيفا». وهو يعتقد أن النظم التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي كثير من الاقتصادات المتقدمة لم تواكب متطلبات قوة العمل اليوم.

إلا أن آخرين، مثل إكسيل، يتشككون فيما إذا كان هناك تباين في المهارات. وهو يقول إن الشباب لم يكن يوما أكثر تأهلا — على سبيل المثال، في بلدان مثل المملكة المتحدة، حيث توجد أعداد غير مسبوقة تواصل تعليمها في مؤسسات التعليم العالي.

وهو يقر بأن عدد الخريجين المتزايد يدعو إلى توجه إزاء التعليم العالي من نوعية اليانصيب الذي يتعين فيه المشاركة للحصول على فرصة للكسب — وهو الآن خطوة أولى ضرورية للحصول على عمل له معنى. إلا أن إكسيل لا يعتقد أن نظام التعليم ينبغي أن يكون مسؤولا عن تخريج أعداد غفيرة من الموظفين الجاهزين للعمل.

ويقول «إن عددا كبيرا جدا من أرباب العمل من وجهة نظرنا يعتبرون أنفسهم الآن مستهلكين للتعليم والتدريب ونسوا، إن كانوا قد علموا أصلا، أن عليهم مسؤوليات وواجبات في تعليم العاملين».

وقد لا يكون هناك تعارض بين موقفي إكسيل وكارنفيل كما يبدو للوهلة الأولى. وتقول منظمة العمل الدولية «إن تباين المهارات في أسواق عمل الشباب قد أصبح اتجاها عاما مستمرا ومتناميا. وتتعايش الزيادة في التعليم والمهارات جنبا إلى جنب مع القصور فيهما، ومع

ريبيرا المولود في إكوادور يفكر في العودة إلى بلده الأصلي مع صديقته دي ميغيل.

الزيادة في المهارات التي لم تعد مواكبة للعصر وذلك بسبب البطالة لفترة طويلة».

جمود سوق العمل

هناك سبب رئيسي ثالث لارتفاع بطالة الشباب هو جمود سوق العمل (راجع مقال «العاطلون عن العمل في أوروبا» في عدد مارس ٢٠١٥ من مجلة التمويل والتنمية)، من قبيل أسواق العمل التي تخضع لقواعد تنظيمية كثيفة مع فرض ضرائب كبيرة على العمالة ووضع حد أدنى مرتفع للأجور.

وفي جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، التي تشهد معدلا من أعلى معدلات بطالة الشباب في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، تصنف الشركات قوانين العمل في البلد باستمرار في فئة أنها تفرض أعباء ثقيلة وتصنف الامتثال بأنه مكلف. ويشير أحد مشاريع البحوث من مختبر الفقر في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا إلى أن قوانين العمل في ذلك البلد ليست موضوعيا أكثر إجحافا من قوانين البلدان الأخرى التي لها مستوى دخل مماثل. إلا أن التصور وحده يردع الشركات عن تعيين موظفين جدد، لا سيما من يشكلون «مخاطر أعلى» — ومنهم الشبان أو العاملون الذين لا يتمتعون بالخبرة الكافية.

وأحد أوجه جمود سوق العمل التي ضربت الشباب بصورة غير متناسبة هي عملهم في وظائف قصيرة الأجل أو مؤقتة أو غير مستقرة. وفي الاقتصادات النامية، التي تضم غالبية من السكان الشباب على مستوى العالم، يترجم ذلك إلى عمالة غير منتظمة وغير رسمية في غياب وظائف مستقرة مرتفعة الجودة.

وفي أوروبا، تزيد الاحتمالات بثلاث مرات بأن يعمل الشباب بعقود مؤقتة مقارنة بالعاملين الكبار. وفي البلدان الأوروبية التي تضررت من الأزمة، نجد أن الفرق أكبر. وغالبا ما تكون هذه العقود مصممة لإعطاء الباحث عن العمل فرصة للعمل على الأقل. إلا أن الأثر الضار غير المقصود لتلك العقود هو حبس العاملين في نفس هذه الوظائف المؤقتة قصيرة الأجل بأجورها المنخفضة وفرصها المحدودة في التدريب أو المضي قدما في المشوار المهني. ويأتي الجمود من التباين بين العاملين بعقود دائمة بمزايا كاملة — غالبا ما يكونون أكبر سنا — والعاملين بعقود مؤقتة وقدر محدود إن وجد من الحماية.

وقد عثرت تودوري، الإسبانية الشابة، على عمل في نهاية المطاف من خلال وكالة — وظيفة مؤقتة على أساس عدم التفرغ في أحد

«إن عددا كبيرا جدا من أرباب العمل من وجهة نظرنا يعتبرون أنفسهم الآن مستهلكين للتعليم».

المتاحف العالمية في برشلونة، إلا أن نوبات عملها غير منتظمة وغير مضمونة. ورغم أن الوظيفة تتيح لها فرصة استخدام مهاراتها اللغوية ومقابلة أشخاص من جميع بلدان العالم، فإنها وأقرانها تتوق إلى قدر أكبر من الاستقرار.

وتقول «أنا شخص بالغ، وأحتاج إلى الفرص التي يملكها البالغين»، لا أن تحركني الشركات ركلا متى احتاجت إلي ثم [يقولون] «حسنا، لسنا بحاجة إليك، تستطيعين الذهاب إلى منزك، سنتصل بك، ربما».

وفي المملكة المتحدة، أصبحت هذه العقود العرضية "ذات الساعات الصفرية" مسألة سياسية خلافية لأنها لا تضمن حدا أدنى من عدد الساعات ويمكن أن تترك الأشخاص لا يعلمون متى سيعملون أو ما إذا كانوا سيعملون. ويقول ريتشارد هيوز من جمعية الشبان المسيحيين

آن–ماري تايلور تبحث عن وظيفة في إعلانات الوظائف في مقهى في لندن، المملكة المتحدة.

في لندن، التي تناصر الشباب، إن العقود ذات الساعات الصفرية مربكة إلى أقصى درجة. ويشير إلى مثال شابة هي كلوي قررت أن تتخلى عن حقها في إعانات البطالة لتعمل بعقد ذي ساعات صفرية في وظيفة مقدمة رعاية لأشخاص في نهاية العمر. وبموجب هذا العقد، تستطيع نظريا العمل بين صفر ساعة و٣٥ ساعة أسبوعيا. ونظرا لتقلب أجورها، فهي غير قادة على دفع إيجار مسكنها ولجأت إلى السكن مع أصدقاء.

ويقول هيوز «إن ما فعلته كلوي بالأساس هو أنها حولت نفسها إلى شخص بلا مأوى».

البلوغ المؤجل

ومع ضعف أو انعدام فرص العمل، أصبح كثير من الشباب يرى أن فرصهم محدودة بشدة في شق طريقهم بأنفسهم والزواج وإنشاء أسرة. ومع الافتقار إلى الحرية المالية، عاد كثير منهم إلى منازل آبائهم وعليهم أن يعيشوا بدعم منهم. وبالنسبة لهذا الجيل «العائد»، تأجلت مرحلة البلوغ إلى أجل غير مسمى. ويقول سيراكانت إن هذا الاتجاه كان يشيع بدرجة أكبر فيما سبق في البلدان ذات نظم الرعاية الاجتماعية الضعيفة، ولكن مع تضخم عجز الميزانيات الوطنية وانخفاض مدفوعات الرعاية الاجتماعية، بدأت هذه الممارسة تنتشر إلى البلدان التي كان المألوف فيها حماية الشباب العاطل عن العمل من خلال إعانات البطالة.

ويضيف قائلا «إن ما يضطر كثير من الشباب إلى القيام به في إنجلترا هو الاعتماد على أسرهم بصورة تفوق ما كان معتادا. ويبدو أن النموذج الإسباني أو النموذج الأوروبي الجنوبي ينمو حاليا في أوروبا».

وإضافة إلى حالات الإجهاد والإحباط الواضحة المترتبة على البطالة، ربطت دراسات بين البطالة طويلة الأجل وانخفاض العمر المتوقع، وزيادة احتمالات الإصابة بنوبة قلبية في مرحلة لاحقة من العمر، وزيادة معدلات الانتحار، والمرض العقلي.

ويرى البعض أن نطاق بطالة الشباب وهدر القدرات البشرية عبارة عن طوارئ اجتماعية. وبدون توفر فرص كافية، في مناطق مثل إفريقيا جنوب الصحراء، التي توجد فيها شريحة سكانية كبيرة

تودروي تزور مكانها المحبب القديم منذ أيام الدراسة في برشلونة. وبسبب الصعوبات المالية، اضطرت تودوري إلى تأجيل دراستها.

من الشباب، يمكن أن تبدأ كتلة الشباب الكبيرة تشبه خصوما في معاملة مالية بدرجة أكبر مما تشبه أرباحا موزعة. ومما يرفع من تكلفة هدر القدرات البشرية للبلدان فقدان الإيرادات الضريبية، وارتفاع فواتير الإعانات، وانخفاض الإنتاجية.

ومما يقلق الحكومات بنفس القدر أن غياب الفرص يمكن أن يعني قلاقل سياسية ويغذي الجريمة وعدم الاستقرار. وكان من العوامل التي أذكت الربيع العربي في عام ٢٠١١ ارتفاع بطالة الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وقام كثير من الشباب بدلا من تحمل الآفاق الكالحة بالتصويت بأقدامهم. والبحث عن حياة أفضل على شواطئ بعيدة قديم قدم التاريخ الإنساني. وتقدر الأمم المتحدة أن واحدا من بين كل ثمانية مهاجرين يبلغ من العمر ما بين ١٥ و ٢٤ عاما. ومنذ هبوط النشاط الاقتصادي العالمي، شهدت بلدان منطقة اليورو المتضررة من الأزمة هجرة منتظمة من الشباب إلى أماكن أخرى في أوروبا، مما أسفر عن فقدان مهارات قيمة وخروج بعض من ألمع الأشخاص وأكثر تأهلا وحماسا في السكان. ومع غياب الحدود في أوروبا، توجد صعوبة في تحديد الأرقام لأن جزءا كبيرا من سفر الشباب الأوروبيين غير موثق.

وقد انضم إلى صفوف الإسبان الشبان المسافرين إلى الخارج مئات الألوف من المهاجرين العائدين إلى أوطانهم الأصلية، ليبدلوا مسار تضخم التعداد السكاني لإسبانيا على مدار عقد. ومنذ ١٣ عاما، عندما هاجر ريبيرا مع أسرته من موطنهم الأصلي الإكوادور، بدت إسبانيا بارقة أمل، تجذب مواطني أمريكا اللاتينية إليها. والآن يفكر ريبيرا في العودة إلى جنوب أمريكا، وهذه المرة مع صديقته الإسبانية البالغة من العمر ١٩ عاما، إليزابت دي ميغيل رودريغيز، التي تبحث هي أيضاً عن عمل.

تقول تايلور «لو كنت قد تركت الدراسة توا، لأعدت النظر في كل شيء بجدية».

وتقول دي ميغيل «إذا لم أجد عملا، فسأحاول أن أفعل شيئا ما في مكان آخر ما دمت لا أستطيع إنجاز الكثير هنا».

ويضيف ريبيرا قائلا «إنني متشائم. فبالنظر إلى مسار الأمور، يتعين أن يحدث شيء جلل حتى يتغير الموقف. وإنني أشك فعلا بأننا سنعود إلى ما كنا عليه، سعداء». ■

هيون–سونغ كانغ محرر أول في فريق مجلة التمويل والتنمية.